

بِسْمِ اللَّهِ

التاريخ: 26 / ذح / 1441 هـ

عنوان المحاضرة (الجغرافيا السياسية والعقدية في عصر الإمام الحسين عليه السلام) * المحاضر: الدكتور الشيخ محمد علي محسن زاده دامت بركاته

ملخص المحاضرة

تشتمل المحاضرة على ثمان وعشرين نقطة وهم كالآتي:

النقطة الأولى: إن التيارات السياسية والنحل المذهبية والتيارات العقدية تتكوّن في عقود من السنوات نتيجة ظروف أرضية اجتماعية ومبادئ فكرية وانتماءات سياسية.

فدراسة الجغرافيا السياسية والعقدية في عصر الإمام الحسين عليه السلام في العالم الإسلامي تتطلب دراسة خريطة الجيوسياسية والعقدية منذ بعثة الرسول الأكرم إلى رحليه ومرورا بسنوات خلافة الخلفاء الثلاثة وفترة حكم الإمام علي والإمام الحسن ومعاوية ويزيد جنوب وشمال الوطن الإسلامي آنذاك التي ظهرت إثر هذه الفترات وعمل أصحاب حكمها، تعدداً طائفيًا وعرقيًا ومذهبيًا.

النقطة الثانية: ان المدينة في عصر النبي قد بايعه فيها قرابة 75 من أهل يثرب ومن الأوس والخزرج في بيعة العقبة الثانية في السنة 13 من البعثة وطلب النبي من المؤمنين الهجرة إليها وهيأت الهجرة هذه تكوين الدولة الإسلامية.

النقطة الثالثة: لم يكن مجتمع المدينة المنورة عندما هاجر النبي ص والمسلمون إليها مجتمعًا واحدًا متجانسًا، بل كانت تعيش فيها تيارات فكرية مختلفة وبعض الطوائف كاليهود والنصارى حيث نظّم الرسول علاقات معهم وعقد معاهدات وأمر المسلمين بالوفاء بها، ولم يطردهم النبي ص منها الا بعد نكثهم للمواثيق والعهود.

النقطة الرابعة: ينقسم أهل المدينة إلى المهاجرين والأنصار والمنافقين ومما يدل عليه قوله تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (100) وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَعَدْتُّهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ (101) وَأَخْرُوجُوا غُرُوبًا يَدُوبُهُمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: 100 - 102]

النقطة الخامسة: آخى النبي بين المهاجرين والأنصار بعد ثمانية أو خمسة أشهر من الاستقرار في المدينة بين 45 من المهاجرين ومثلهم من الأنصار .

النقطة السادسة: ان الصحابة خالفوا النبي في موردين مهمين:

الأول: ممانعتهم من كتابة وصية النبي التي تضمن للامة النجاح والسلامة عن الضلالة.
الثاني : التخلف عن جيش أسامة امتناع أعلام المهاجرين من الالتحاق بجيش اسامة خوفاً أن يتم الأمر للإمام علي عليه السلام بعد وفاة النبي ص.

النقطة السابعة: المنافق هو الذي لم يؤمن بالإسلام بقلبه، لكنه يتظاهر بالإيمان، هو الذي يخفي الكفر، ويظهر غيره ويستخدم مصطلح المنافق في قبال المؤمن والكافر.

النقطة الثامنة: يعود منشأ النفاق والمنافقين في الإسلام إلى ما بعد هجرة النبي (ص) إلى المدينة، ففي مكة كان المشركون يعارضون الإسلام علناً، أما بعد أن قويت شوكة المسلمين وضعف موقع المشركين تظاهروا بأنهم التحقوا بصفوف المسلمين من غير أن يؤمنوا؛ وذلك ليتمكنوا من تنفيذ مخططاتهم ضد الإسلام ورسول الله (ص). والنفاق أخطر من الكفر لأنه يضعف إيمان المجتمع الديني ويؤثر على المؤمنين.

النقطة التاسعة: ذكر أسماء بعض المنافقين في المصادر التاريخية والحديثية، وقد تطرق المقرئ في كتابه «إمتاع الأسماع» إلى المنافقين من قبيلتي الأوس والخزرج في المدينة، وذكر ما صنعوا ضد الإسلام والنبي (ص)، فمنهم عبد الله بن أبي الذي هدّد المهاجرين بإخراجهم من المدينة، وعبد الله بن عيينة الذي شجع أصحابه بقتل رسول الله (ص).

النقطة العاشرة: يظهر من بعض الآيات ان المنافقين في المدينة لم يكن النبي يعلم جميعهم كما في قوله تعالى: (لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ) فالمنافقون كانوا غير معروفين، ولم ينكشف إلا القليل منهم، وقد اطلع الله نبيه (ص) على بعض منهم، كما أنّ النبي (ص) اطلع حذيفة على عدد منهم.

النقطة الحادية عشرة: يظهر من الأخبار أن رسول الله (ص) كان يتعامل مع المنافقين بالعفو والمداراة قدر الإمكان. فرغم أنه (ص) كان على علم بكفر المنافقين الخفي والذي أخبر به القرآن الكريم في عدة مواضع . المنافقون الذين كشف أمرهم وأعلم الله النبي بنفاقهم أو الذين كانوا يبرزون كفرهم ونفاقهم في زلات اللسان وبين ذويهم، كان النبي يتعامل معهم باللطف.

النقطة الثانية عشرة: المائز بين المنافق والمؤمن هو حب علي عليه السلام قَالَ عَلِيُّ وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ إِنَّهُ لَعَهْدَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيَّ أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ. [صَحِيحُ مُسْلِمٍ 1:61]. روي عن جابر، قال: ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغض علي بن أبي طالب رضي الله عنه»

النقطة الثالثة عشرة: ان ما جرى في سقيفة بني ساعدة كما يصفها عمر حيث يقول:.... فَقَالَ قَائِلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ
أَنَا جَدَيْتُهَا الْمُحَكَّمُ، وَعَدَيْتُهَا الْمَرْجَبُ، مِنَّا أَمِيرٌ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ.... فَكَثُرَ اللَّعْطُ، وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ
حَتَّى فَرِقْتُ مِنَ الْإِخْتِلَافِ. فَقُلْتُ ابْسُطْ يَدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ. فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعْتُهُ، وَبَايَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ، ثُمَّ بَايَعْتُهُ
الْأَنْصَارُ... (صحيح البخاري ج 8 ص 26، ح 6830، كتاب الحدود)

وأخذ سعد بن عبادة بلحية عمر وتهديده كما في (الطبرى) فاقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر وكادوا
يطؤون سعد بن عبادة فقال ناس من اصحاب سعد اتقوا سعدا لا تطؤوه فقال عمر: «اقتلوه قتله الله». (الكلام... ترك البيعة...) قال له عمر لا تدعه حتى يبايع فقال له بشير بن سعد انه قد لج وأبي وليس بمبايعكم
حتى يقتل وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده واهل بيته وطائفة من عشيرته فاتركوه فليس تركه بضاركم انما
هو رجل واحد فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد واستنصحوه لما بدا لهم منه.
فكان سعد لا يصلح بصلاتهم ولا يجمع معهم ويحج ولا يفيض معهم بافاضتهم فلم يزل كذلك حتى هلك أبوبكر
رحمه الله. تاريخ الطبرى ج 2 ص 456.

النقطة الرابعة عشرة: واجه الإمام علي عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام في زمن الخلفاء الثلاثة مجموعة
كبيرة من الوقائع والمشاكل كهجوم القوم على بيت فاطمة (عليها السلام) وأخذ البيعة لأبي بكر قسراً وغصب
فدك وشهادة فاطمة (عليها السلام).
وقد استمرت هذه الفترة 25 عاماً (3 سنوات أبي بكر / 12 سنة عمر / 10 سنة عثمان) كان له عليه السلام دور
بارز في شؤون المجتمع ولم ينعزل عن المجتمع ولم يكل عن ممارسة مهامه فيها كالعطاء العلمي والاجتماعي
وكان عليه السلام بارعاً في جميع تلك الخدمات كجمع القرآن وتقديم النصح والاستشارة للخلفاء الثلاثة في
التحديات التي كانت تواجههم في الحكم والحرب والفتوحات ...

النقطة الخامسة عشرة: الفتوحات الإسلامية هي عدة حروب خاضها المسلمون بعد رحيل الرسول الأكرم
ص ضد بيزنطة والفرس والبربر والقوط في السنوات ما بين (632-732) ففي عهد الخلفاء الثلاثة دمرت
الإمبراطورية الفارسية، وألحقت الهزائم الكبرى بإمبراطورية الروم البيزنطيين، ونشرت دين الإسلام الحنيف
بين شعوب كثيرة، وعلى مساحات وأقاليم واسعة شملت العراق والشام وفارس وصولاً إلى حدود الهند
شرقاً، وأرمينيا شمالاً، وإلى حدود تونس في إفريقيا.

من ميزات هؤلاء أنهم جديدي العهد للإسلام، لم يروا النبي ولا فترة نزول الوحي ولم يعيشوا أجواء سنة رسول
الله فمعرفتهم عن الإسلام كانت محدودة بحدود ما نقل إليهم من قبل أمرائهم وولاة الأمر الذين حددهم
الخلفاء الراشدون على تلك الولايات. فما يعرفون تفاصيل المعارف الدينية على الصعيد الأخلاقي والفقه
والعقدي.

النقطة السادسة عشرة: كسب معاوية ثقة عمر فولاه الأردن كما ولّى عمر أخاه يزيد جميع مناطق الشام،
وعندما جاء عثمان نصب معاوية كوالي على الشام بأسرها، كان أهل الشام ربابب معاوية، الأمر الذي كان في
غاية الوضوح خلال الحكم الأموي، بعد وفاة عثمان رفض معاوية بيعة الإمام علي عليه السلام

فخرج على الإمام بذريعة الأخذ بثأر عثمان، فبايعه أهل الشام من أجل الأخذ بثأر عثمان ومحاربة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. فبقى الصراع بينه وبين الإمام علي عليه السلام حتى نهاية خلافة الإمام وشهادته عليه السلام.

كان معاوية يؤكد في كتبها التي يبعثها إلى الإمام: بأنّ عثمان قتل مظلوماً، ويتوسل بقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا﴾. فنحن وأبناء عثمان أولى بهذا الأمر، فكان معاوية ومن خلال الدعايات والإعلانات يدعي بأنه هو وريث عثمان.

النقطة السابعة عشرة: ان معاوية عقد الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام بعد شهادة الإمام علي عليه السلام، ثم تنحى الإمام الحسن عن الخلافة لصالح معاوية وفق بعض شروط العقد، وتقلد الخلافة وحكم المسلمين إلى آخر عمره. فاستولى على زمام الخلافة، واختار مدينة دمشق عاصمة لحكمه. بدّل معاوية الخلافة إلى ملك عَضُوض، وبذل غاية مجهوده لبيعة ابنه يزيد. وأنشأ دواوين جديدة لإدارة دولته، وتصدى وقابل قيام الخوارج والشيعة، وقام بكبحه وقمعه.

النقطة الثامنة عشرة: صدرت من معاوية في زمان ملكه وتوليه الخلافة على المسلمين عدة مخالفات وهي كالآتي:

1. صلاته صلاة الجمعة يوم الأربعاء، وقد صلى بدون بسملة فاعترض عليه المهاجرون والأنصار. (الصنعاني، المصنف، ج 2، ص 92).
2. إرساله بسر بن أرطاة بجيش كثيف إلى اليمن وأمره أن يقتل كل من كان في طاعة الإمام علي عليه السلام فقتل خلقاً كثيراً، وقتل فيمن قتل ابني عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، وكانا غلامين صغيرين. (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج 1، ص 340)
3. نصبه يزيد ابنه حاكماً على الناس من بعده وأخذ البيعة من المسلمين بالإجبار والقهر. (الموسوي، موسوعة الأنوار، ج 2، ص 203)
4. قتل جماعة بغير سم وهم: حجر بن عدي بعد رفضه البراءة من أمير المؤمنين عليه السلام، وقتله الصحابي عمرو بن الحمق الخزاعي بالجزيرة، وصلب رأسه، وكان رأسه أول رأس صُلب في الإسلام، وقتله محمد بن أبي بكر بن أبي قحافة، وقتله محمد بن أبي حذيفة بعد أسره، وقتله عبد الرحمن بن عديس البلوي وهو من الصحابة الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم تحت الشجرة.
5. قال المؤرخون انه اغتال مجموعة من الأشخاص بدس السم إليهم، ومنهم: الإمام الحسن بن علي عليه السلام، عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، ومالك الأشتر النخعي، وسعد بن أبي وقاص،
6. العمل على دفن اسم النبي الاكرم (ص) كما يروى عن المغيرة بن شعبه: ... فقال معاوية: هيهات هيهات ملك أخوتيّم فعدل وفعل ما فعل، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره، إلا أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو عديّ، فاجتهد وشَمَّرَ عشر سنين، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر، ثم ملك أخونا عثمان فملك رجلٌ لم يكن أحد في مثل نسبه، فعمل ما عمل وعمل به فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره، وذكر ما فعل به، وإن أخا هاشم يُصْرُخُ به في كل يوم خمس مرات: أشهد أن محمداً

رسول الله، فأى عمل يبقى مع هذا؟ لا أم لك؛ والله ألا دفنا دفنا. شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، ج 5، ص 130 والنصائح الكافية، ص 124.

النقطة التاسعة عشرة: تخطيط معاوية المتدرج للتغيير في فهم الناس الديني والعمق المعرفي للأمة الإسلامية من خلال قيامه بعدة أمور:

1- تحريض الناس بوضع روايات في فضائل الأمويين والصحابة وفضل معاوية
«انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحببيه وأهل بيته وأهل ولايته الذين يزؤون فضله ويتحدثون بمناقبه فأدنوا مجالسهم وأكرمواهم وقربوهم وشرفوهم، واكثبوا إلي بما يزوي كل واحد منهم فيه باسمه واسم أبيه وممن هو». فامتثل عماله وولاته ذلك فأدنوا الرواة المستأجرين وأشادوا بهم، ومنحوهم الأموال الكثيرة ودنوا ما افتعلوه في فضل عثمان، وأرسلوه إليه. ورووا أن النبي (ص) أشاد بفضل أصحابه، ثم قال في معاوية: وصاحب سري معاوية بن أبي سفيان.

2- الكف عن وضع الحديث في فضل معاوية وتحريض الناس بوضع الأحاديث في فضل الشيخين:
نص ما كتبه :

«إن الحديث قد كثر في عثمان وفشا في كل مضر ومن كل ناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعواهم إلى الرواية في أبي بكر وعمر، فإن فضلها وسوابقهما أحب إلي وأقر لعيني وأدحض لحجة أهل هذا البيت وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله».

فبادر الوزراء إلى افتعال الأحاديث في مناقب أبي بكر وعمر فالزمت الناشئة وسائر الطبقات بحفظ تلك الأخبار المفتعلة حتى حفظها الأولاد وحفظتها النساء والخدم والحشم، عددها أكثر من مائة، منها:
«إن سيدي كهول أهل الجنة أبو بكر وعمر» (وقد سئل الإمام الجواد عنه ففنده وقال : والله ليس في الجنة كهول بل كلهم شباب مُزْد).

3- اختلاق الحديث ضد أهل البيت عليهم السلام

وقال ابن أبي الحديد: «وذكر شيخنا أبو جعفر الإسكافي أن معاوية وضع قوما من الصحابة، وقوما من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله فاختلفوا ما أَرْضاه، منهم أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير».

4- تنكيل معاوية بالموالين

ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عُمَالِهِ نُسخَةً وَاحِدَةً إِلَى جَمِيعِ الْبُلْدَانِ:
انظروا من قامت عليه البيعة أنه يحب علياً وأهل بيته فأمحوه من الديوان ولا تحيروا له شهادة.
ثُمَّ كَتَبَ كِتَاباً آخَرَ: مَنِ اتَّهَمْتُمُوهُ وَلَمْ تُقَمَّ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَأَقْتُلُوهُ.

5- امر معاوية سب علي عليه السلام على منابر المسلمين كما رواه مسلم في صحيحه (أمر معاوية بن أبي سفيان سَعْدًا فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسُبَّ أَبَا التُّرَابِ؟) صحيح مسلم 7/120، ح 6114

النقطة الرابعة والعشرون: لم يكن أحد من أصحاب معاوية من السابقين إلى الإسلام ، بل كان بعضهم ممن حارب النبي (صلى الله عليه وآله) سنوات عديدة أو ممن طرده أو لعنه النبي (صلى الله عليه وآله) ، أمثال : عمرو بن العاص ، عبد الله بن عمرو بن العاص ، عبيد الله بن عمر ، حبيب بن مسلمة، ذو الكلاع الحميري ، الضحاك بن قيس ، الوليد بن عقبة.

النقطة الخامسة والعشرون: المراد بطائفة الخوارج وهم المارقون الذين خرجوا على علي بن ابي طالب عليه السلام في صفين يوم التحكيم حيث كرهوا الحكم والتحكيم وقالوا: «لا حكم الا لله» وخرجوا عن إمرته وخلافته، وقالوا: «شككت في أمرك، وحكمت عدوك في نفسك»، ثم كفّروه وكفّروا معاوية وكل من رضي بالتحكيم. وقد ظهرت في النصف الأول من القرن الأول الهجري، وبالتحديد في حرب صفين التي دارت رحاها بين أمير المؤمنين علي عليه السلام من جهة وبين معاوية بن أبي سفيان من جهة أخرى.

النقطة السادسة والعشرون: للخوارج عقائد خاصة بهم من جملتها ما يأتي:

- 1- تكفير من يرتكب الذنوب الكبيرة
- 2- الإمامة: ان من يرتكب الذنوب الكبيرة لا يستأهل تولى إمامة المسلمين، وإذا تقلد هذا المنصب فعلى المؤمنين الخروج عليه، كما أن أكثر الخوارج يخالفون أن تكون هناك منصبا للخلافة بعد النبي (ص)
- 3- الاعتقاد بأن أطفال المشركين يدخلون النار مع آبائهم.

النقطة السابعة والعشرون: ومن جملة الآراء الفقهية لفرق الخوارج ما يلي:

- 1- رجم الزانية، وذلك استنادا إلى ما ورد في القرآن الكريم، جواز قتل أطفال المخالفين ونسائهم،
- 2- ورفض التقية بالقول والعمل،
- 3- يجب قتل من لم ينتم إلى الخوارج بناء على معتقد الأزارقة ، بينما يحرمون قتل النصارى والمجوس واليهود.

النقطة الثامنة والعشرون: تمادى المارقون بنشر الفساد في مناطقهم، فنهبوا واغتالوا وتعاطوا كثيراً من الموبقات كان على رأسها قتل عبد الله بن الخطاب بن الأرت- وهو من خيرة الصحابة- وبقروا- أي شقوا- بطن زوجته وهي حامل، وجعلوا يتعرّضون الناس ويذيعون الذعر، فأرسل إليهم أمير المؤمنين عليه السلام يسألهم عن هذا الفساد. وبعد أن فشلت جميع المساعي بما فيها مسعى عبد الله بن عباس الذي أرسله الإمام عليه السلام إليهم ليستعلم رأيهم ويحاورهم في سبب خروجهم وقتلهم للمسلمين، ذهب عليه السلام إليهم بنفسه وبعد حوار طويل تمكن عليه السلام من إقناع الكثير من الخوارج بالعدول عن رأيهم والانسحاب من الساحة، إلا أن طائفة كبيرة منهم تقدّر بأربعة آلاف بقيت مصرّة على غيّها وعنادها، ولما لم يجد عليه السلام عندهم حجة يركن إليها، ولم يرجعوا عن غيهم اضطر لمواجهتهم، وانتهت المعركة بهزيمة نكراء لجيش الخوارج حيث لم يبق منهم - حسب الوثائق التاريخية - إلا تسعة، ولم يقتل من جيش الإمام إلا سبعة أو تسعة.